الفساد مظاهره وسُبل مكافحته

حامد أشرف همداني*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن الفساد ظاهرة إنسانية قديمة في الأمم، وقد جاء ذكر بعض تلك الأمم في القرآن الكريم. ولا يكاد يخلو عصر من العصور من ظاهرة من ظواهر الفساد . وحق للأمم الجادة أن تتصدى للفساد باعتباره خروجاً على سير الحياة المستقيمة يتهدد المجتمع وبنيته وبقاءه. والإسلام في شموله اهتم بظاهرة الفساد فشخَّص الداء، ووصف الدواء. وهذا البحث يهتم ببيان مفهوم الفساد ومظاهره وسُبل مكافحة في ضوء الشريعة الإسلامية.

وقد تناول البحث المفهوم اللغوي لمصطلح الفساد، ومدلولات الفساد في القرآن الكريم والسنة النبوية ثم تطرق إلى أهم مظاهر الفساد، ومن ثم تحدث عن تصدي الشرع الحنيف لدرء الفساد ومعالجته.

الفساد لغة:

الفساد ضد الصلاح، وله في لغة العرب معانٍ كثيرةٌ، منها: الفتق، والخلل، والاضطراب، والوصم، والخراب، والتدابر، وقطيعة الرحم، وأخذ المال ظلماً، والتلف، والعطب، والجدب، والقحط، والابتداع، واللهو واللعب، والاستحالة، والتغير، والعفونة، والنتن، وغير ذلك [1].

وحدّه الجامع لتلك المعاني هو: خروج الشيء عما كان عليه من الاعتدال والسلامة، قليلاً كان الخروج أو كثيراً[2]، وقال ابن عاشور: "الفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره، وقد يطلق على وجود الشيء مشتملاً على مضرة وإن لم يكن فيه نفع من قبل"[3].

ويطلق الفساد على الإفساد وإلحاق الضرر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الفساد نوعان: لازم، وهو مصدر فسد يفسُد فساداً. ومتعد، وهو اسم مصدر أفسد يفسد إفساداً"[4]. والفساد يكون بالفعل والقول، ويستعمل في النفس والبدن، وفي الأشياء الخارجة عن الصلاحية والاستقامة [5].

الفساد اصطلاحاً:

يختلف الحد الاصطلاحي للفساد باختلاف الفنون، وباختلاف ما يوصف به. ويلاحظ في كل التعاريف الاصطلاحية أن فيها التفاتاً إلى المعنى اللغوي لمادة الفساد. والفساد المذموم في القرآن والحديث – وهو موضوع البحث – هو المعرف عند علماء العقيدة وعلماء السلوك، الذي يشمل كل ما يخالف الصلاح ويتعارض مع الشرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كل قول أو عمل يبغضه الله فهو من الفساد"[6].

وقال ابن جرير الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية"[7]

*الأستاذ بقسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور ،باكستان

وقال أبو حيان: "الفساد: التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة"[8]

وقال البيضاوي: "والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال"[9].

ولعل تعريف الزمخشري من أجمع التعريفات حين قال: "هو خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة"[10].

ونستطيع من خلال ما أثبتناه في معنى الفساد عند اللغويين والسادة المفسرين استخلاص تعريف جامع للفساد مؤداه أن الفساد هو: "الخروج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية إلى ما يباينها".

بيان مدلولات الفساد وأنواعه من خلال آيات القرآن والأحاديث النبوية

أولاً : دلالة لفظ الفساد في القرآن الكريم

وردت مادة (فسد) وما اشتق منها في القرآن الكريم قرابة (٤٧) مرة، أما الآيات التي حدثتنا عن الفساد فهي كثيرة جداً، والملاحظ أن مصطلح الفساد في نصوص القرآن أشمل وأوسع مما هو متعارف عليه في أذهان عامة الناس، فالفساد يطلق على أمرين:

1) الفساد التكويني :ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[11]، ويقصد بالفساد الكوني :التلف والعطب وهو الذي يشير إليه المعنى اللغوي.

2) الفساد التشريعي :وهو الذي ينشا عن نقص في وظيفة أي حكم شرعي، وعلى هذا المعنى أغلب النصوص التي تحدثنا عن الفساد، وهو ما يقابل الصلاح.

ولدى استقراء النصوص التي وردت في هذه المادة يمكن تسجيل الملحوظات التالية:

- التلازم بين لفظي (الفساد) و(الأرض): فقد لوحظ هذا التلازم صراحة في أكثر من 33 موضعاً.
- ورود لفظ (السعي)[12] دون المشي أو غيره مع لفظ الفساد، وإن كان في هذا الاختصاص دلالة فلعله يشير إلى سرعة انتشاره وتفشيه في المجتمعات، فالسعي فيه معنى السرعة والخفة، وقد يكون فيه تعريض بأهل الحق بكونهم أجدر من أهل الباطل في هذا السعي والحرص.
- ورد في النهي عن الفساد لفظ ﴿ولا تعثوا﴾، والعثو كثرة الفساد، وأصله على ما قيل: من قولهم: (ضبع ثعواء) إذا كثر الشعر على وجهها وكذلك الرجل[13] .

السياق القرآني يدل أن الفساد والإفساد يقابلهما الصلاح والإصلاح، ويدل ذلك أن الحركة الأولى (الصلاح) وحدها لا تكفي للقضاء على الفساد، فلا بد من حركة النهي عن الفساد (الإصلاح): ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[14]، فللنجاة لا بد من النهي عن السوء: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[15]

والقرآن لا يستخدم مصطلح الفساد في المعنى الشرعي الخاص فقط، بل قد ينقل ذلك حكاية على ألسنة الظالمين والعصاة في وصفهم لحركة الأنبياء والصالحين كوصف أتباع فرعون لدعوة موسى بقولهم ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ

فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[16].

وكقول بلقيس في وصف الملوك ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[17].

والمتتبع لألفاظ الكتاب والسنة يجد أن لفظي الفساد والإفساد استعملا للدلالة على المعنى العام لهما، كما استعملا للدلالة على جانب من معناهما، وفيما يأتي بيان ذلك:

1) الكفر بالله سبحانه تعالى:

من ذلك قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[18] فإفسادهم في الأرض: باستدعائهم إلى الكفر، والترغيب فيه، وحمل الناس عليه، وتعويقهم وصدّهم للنَّاس عن الإيمان، والاستهزاء بالحقّ، وقطع الوُصل التي بها نظام العالم وصلاحه.[19]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾[20] أي: من هؤلاء الذين بُعثتَ إليهم يامحمد من يؤمن بهذا القرآن، ويتَّبِعُك وينتفع بما أُرسلت به، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بل يموت على ذلك ويبعث عليه،﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي:المكذِّبين المصرِّين على كفرهم، ولفظ الآية يشمل جميع أهل الكفر[21].

2) النِّفَاق:

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[22] فالآيتان وردتا في سياق ذكر المنافقين، وأنَّ من صفاتهم وأخلاقهم إذا قال لهم أهل الإيمان :﴿ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن، وإظهار الهرج والمرج والمحن، وإفشاء أسرار المسلمين إلى أعدائهم الكافرين، ﴿ قَالُواْ ﴾ في جوابهم الفاسد :﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ في ذلك، فلا تصحُّ مخاطبتنا بذلك، فإن من شأننا الإصلاح والإرشاد، وحالنا خالص من شوائب الفساد، فردّ الله عليهم ما ادَّعوه من الانتظام في سلك المصلحين بأبلغ ردّ، من وجوه الاستئناف الذي في الجملة، والاستفتاح بالتنبيه، والتأكيد بإن وضمير الفعل، وتعريف الخبر، والتعبير بنفي الشعور، إذ لو شعروا أدنى شعور لتحقَّقوا أنهم مفسدون[23].

3) المعاصي:

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[24] أي :لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي الموجبة لفساد العالم بالقحط والفتن، بعد إصلاحها بالخصب والأمان، بما يحقِّق منافع الخلق ومصالح المكلَّفين، فالنهي هنا عامّ يشمل كلَّ فساد قلَّ أو كَثُر، ومن أنواعه: إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان[25].

ومنه قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[26] وإفسادهم في الأرض: عملهم بمعاصي الله، وتهييج الفتن[27].

4) خراب العالم وفساد نظامه:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[28] أي: لو تعدَّدت الآلهة لكان بينهما التنازع والتغالب، ممَّا يؤدي إلى فساد نظام العالم، وفساد السماء والأرض: هو خرابهما وهلاك من فيهما، وذلك بسبب وقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء، فيبغي بعضُهم على بعض، ويذهبُ كلُّ إله بما خلق[29].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[30] أي: إن الملوك إذا دخلوا قرية عنْوَة بالقهر خرَّبوها وأذلُّوا أعزتها وأهانوهم غاية الهوان، إمَّا بالقتل أو بالأسر[31].

5) المنكر:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ...﴾[32] أي: فهلا وُجِدَ فيمن كان قبلكم من القرون من فيه بقية من العقل والحزم والثبوت والدِّين، ينكرون على أهل الفساد فسادهم، ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي: لكن قليلاً ﴿ مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ نَهَوا عن الفساد في الأرض[33].

6) الحِرَابة:

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ....﴾[34] وهو بيان للحِرابة، أي: ويسعون بحرابتهم مفسدين، وهي على درجات؛ أدناها: إخافة الطريق، ثمَّ أخذ الأموال، ثمَّ قتل الأنفس[35].

7) إثارة الفتن والحروب:

ومن ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[36] أي :يسعون في الأرض مفسدين أو للفساد، وذلك بإثارة الحروب والفتن، وهتك المحارم واستحلالها، وسفك الدِّماء، والكيد للمسلمين وخداعهم، ﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: لا يرضى فعلهم، فلا يجازيهم على إفسادهم إلَّا شرًّا وعقوبة[37].

8) قطيعة الأرحام:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[38] أي: فهل يتوقع منكم إن توليتم أمورَ النَّاس وتأمَّرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام، إلَّا الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، تناحرًا على الولاية وتجاذبًا لها، أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب[39].

9) السّحر:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[40] فسحرهم هو من قبيل عمل المفسدين، وإضافة ﴿ عَمَلَ ﴾ إلى ﴿ الْمُفْسِدِينَ ﴾ يُؤذِن بأنَّه عمل فاسد، لأنه فعل مَنْ شأنُهم الإفساد، فيكون نسجاً على منوالهم، وسيرة على معتادهم، والله لا يؤيِّد هذا العمل الفاسد ولا يثبته ولا يقوِّيه[41].

10) أكل أموال اليتامى ظلماً:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ..﴾[42] أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح، فيجازي كلًّا على إصلاحه وإفساده، وفي الآية وعد للمصلحين ووعيد للمفسدين[43].

11) فاحشة قوم لوط:

ومن ذلك قوله تعالى مُخبراً عن نبيِّه لوط عليه السلام ودعائه على قومه: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[44] وذلك لمَّا يئس من استجابتهم، بعد أن أنكر عليهم سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذُّكران من العَالَمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفِعْلة أحدٌ من بني آدم قبلهم، مع كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسوله، وعملهم للمُنكَرات[45].

12) الظُّلم والجَور والتَّفريط بالحقوق:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾[46] ﴿ طَغَوْا ﴾ أي: تمرَّدُوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظُّلم والعُدوان، ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ أي: الجور والأذى وإضاعة حقوق النَّاس،لأنَّ الطغيان يُجرِّىء صاحبه على دحض حقوق النَّاس، فهو من جهة يكون قدوة سُوءٍ لأمثاله ومَلئِهِ، فكلُّ واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم، لأنَّ به اختلالَ الشرائع الإلهيّة والقوانين الوضعية الصالحة، وهو من جهة أخرى: يثير الحفائظ والضغائن في المطْغيّ عليه من الرعيَّة، فيُضمرون السوء للطَّاغين، وتنطوي أنفسهم على كراهيتهم[47].

13) تَسَلُّط الكفارِ على المؤمنين واستحلالهم للحُرُمَات:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[48] أي: إلَّا تفعلوا ما أُمِرتم به من مُوالاة المؤمنين ونصرتهم، أو نصرةِ من استنصر بكم ممَّن لم يهاجر، ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ﴾ وذلك باستيلاء المشركين على المؤمنين، ﴿ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ وذلك باستحلال المشركين أموالَ المؤمنين وفروجهم[49].

14) السَّرِقة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾[50] فقد أكَّد إخوة يوسف عليه السلام براءتهم من السرقة بالقَسَم، واستشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم من السرقة لما عَرَفُوا

منهم في كرّتي مجيئهم ومداخلتهم للملك[51]، وقد نَفَوا عن أنفسهم الاتّصاف بالسرقة بأبلغ ممَّا نَفَوا به الإفساد عنهم، وذلك بنفي الكون سارقين دون أن يقولوا: وما جئنا لنَسْرِق[52].

15) فساد البيئة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[53] وفساد البرّ: خرابه، وغور مياهه، وقلَّة نباته، وقلة أمطاره، وكثرة السباع العادية والحشرات المؤذية فيه، وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات وكثرة المضار، أمَّا فساد البحر: فبكثرة الرياح القاصفة، وكثرة الغرق، وقلة السلامة، وانقطاع الصيد، وكلا الفسادين بشؤم ما كسبت أيدي الناس من المعاصي والذنوب[54].

16) فساد نظام العالم:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[55] أي: لو عمل الربُّ تعالى بما يهوى هؤلاء المشركون، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم، وترك الحقَّ الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ; وذلك أنَّهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق[56].

17) النهي عن عموم الفساد:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[57]

فالآية نهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه: من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، ومعنى ﴿ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ أي: بعد أنْ أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلَّفين[58].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[59] وإفسادهم في الأرض كان عامًّا، ومن صوره: القتل، والتَّخريب، وإتلاف الزرع، وغير ذلك[60].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[61] أي: أنَّ إفساد هؤلاء الرهط من قوم ثمود كان إفساداً محضاً لا يخالطه شيء من الصلاح أصلاً [62].

فإنَّ مدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره. وقد جعل الشرع الحنيف المعاصي كلها فساداً في الأرض، فكل المخالفات خروج عن جادة الصلاح، وانحراف عن الطريق المستقيم.

ثانياً: دلالة لفظ الفساد في السنَّة

وإذا استعرضنا الأحاديث التي جاء فيها الفساد ومشتقاته لبيان مدلول الفساد ومعناه، وجدنا لفظ الفساد

جاء ليدل على المعاني التي دلَّ عليها القرآن. ومن دلالات لفظ الفساد ومشتقاته في السنة النبوية مايلي:

1) القتل والتَّخريب في الغزو:

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ، فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الْإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ"[63]، والمراد من اجتناب الفساد في الحديث: عدم مجاوزة المشروع في القتل والأسر والنهب والتخريب[64].

2) إضاعة المال:

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَنْفَقَت الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا"[65]، فإنفاق الزوجة من الأطعمة التي يجلبها زوجها قدراً تعلم رِضاه به في العادة من دون إسراف ولا تبذير ليس من الإفساد في شيء، بل يعود ذلك عليها وعلى زوجها بالأجر والثَّواب، أمَّا إن تجاوزت الحدَّ في الإنفاق من طعام بيتها فإنها تكون بذلك مُفْسدة آثمة[66].

ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "أمسِكُوا عَلَيْكُم أَمْوَالَكُم ولا تُفْسِدُوْهَا..."[67]، وفي الحديث: حضٌّ على المحافظة على المال وعدم إهداره من غير منفعة[68].

3) عنوسة النِّسَاء وقِلَّة العِفَّة في الرِّجَال:

فعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ"، وَفِي رِوَايَةٍ: "عَرِيضٌ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: "إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ" قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[69]، فحِرْصُ النَّاس على الدُّنيا وعدمُ تزويجهم لبناتهم إلَّا ممَّن يملك المال والجاه سيُبقِي كثيراً من النِّساء بلا أزواج، وكذلك الرِّجال بلا زوجات، مما يؤدِّي إلى انتشار المفاسد في المجتمع، ويكثر الافتتان بالزنى، ويلحق العار بالأولياء، فتهيج الفتن والفساد، ويترتَّب على ذلك قطع النَّسب وقلة الصلاح[70].

4) فساد الضمائر:

فعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «..ألاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ"[71]، فالإنسان هو القلب حقيقةً، فما اتَّصف به القَلبُ فاضت صفاتُه على الأعضاء[72]، والقلب هو محلُّ الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب، وهو ملك الأعضاء وهي جنوده، وفساد القلب: ظلمته بالضلالة، مما ينتُج عنه فسادُ الجسد كلِّه بانبعاثه في القبائح[73].

5) فساد العلاقات الاجتماعية وإفسادها:

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: "ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامَ وَالصلاة والصدقة؟"، قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: "إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ"[74]، ففي الحديث حثٌّ وترغيب على إصلاح العلاقات الاجتماعية واجتناب الفساد فيها؛ لأنَّ الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدِّين، لذلك سمَّاها النبي صلى الله عليه وسلم الحالقة لأنَّها تستأصل أصلَ الدِّين الذي يدعو إلى الصَّلاح والإصلاح، فمن تعاطى إصلاحَ ذات البين ورفعَ فسادِها نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ما ينالها الصائمُ القائم المشتغل بخويصة نفسه[75].

وممَّا يُفسِد العلاقات الاجتماعية: السعيُ بالنَّميمة بين النَّاس، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ"[76]، فإفسادهم بين الأحبَّة بما يسعون به بينهم من الفتن[77]، من ذلك: النميمة، وهي نقل كلام النَّاس بعضِهم إلى بعض على جهة الإفساد[78]، وقد سمَّاها النبيُّ صلى الله عليه وسلم أيضاً بالعِضَة[79]، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم قال: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ "[80].

6) تغير أحوال الناس:

فعنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، أَوِ ابْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يُصْلِحُونَ حِينَ يُفْسِدُ النَّاس"[81]، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: "أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ "[82].

مظاهر الفساد وآثاره على الأمن المجتمعي :

إن للفساد مظاهره السلبية المنعكسة على الأفراد الذين لحق بهم الفساد، وتعايشوا معه على اعتبار أنه أمر طبيعي، فهؤلاء الأفراد سينحرف سلوكهم، ويندمون عند الموت، ويسوء مصيرهم يوم القيامة. وكما أن للفساد مظاهره وآثاره على المفسدين أنفسهم، فإن له مظاهر وآثاراً مدمرة في المجتمع، تمزق وحدته، وتذهب قوته، وتؤول به إلى مستقبل مظلم، فلا يُرتجى منه خير ولا يتوقع منه صلاح إلا باجتثاث أصول الفساد من هذا المجتمع وسد سبله. ويمكن بيان مظاهر الفساد وآثاره على المجتمع كالتالي:

(1) سفك الدماء

لا يشيع القتل وسفك الدماء في مجتمع من المجتمعات، إلا إذا بلغ هذا المجتمع حداً من الفساد وجرأة على حدود الله تؤهله لفعل ذلك، بمعنى أن سفك الدماء نتيجة متوقعة للفساد، فساد الفطرة، وفساد في معرفة معنى الحياة، وفساد في التصور، وفساد في الخُلق، وفساد في السلوك، وفساد في الروابط والمعاملات، وفساد في كل ما بين الناس من ارتباطات[83]، فالمجتمع الذي يشيع فيه الفسادُ، لا تُراعى فيه حرمة لمال ولا عرض ولا دم، فإذا تدنت الأمة إلى هذه الدرجة الوضيعة من الفساد هان على أفرادها الاعتداء على كل شيء.

وقد قرنت الملائكة الكرام بين الفساد وسفك الدماء، قال تعالى على لسانهم: ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء...﴾[84]، ولعل هذا من قبيل عطف الخاص على العام . وذلك لبيان أشنع ما سيكون عليه هذا الفساد، فقد خَصَّتِ الملائكةُ سفكَ الدماءِ وهو من خصوص الفساد وذلك لبيان شناعته، وأن سفك الدماء أعلى درجاته، وما كان لإنسان أن يقترفه إلا إذا بلغ حداً من المغالاة في الفساد.

وقد اعتبر الزمخشري "الفساد في الأرض تهييج الحروب والفتن"[85]، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿... لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...﴾[86]، وقوله تعالى: ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء...﴾[87]، فالفتن والحروب سميت فساداً لكثرة ما يسفك فيها من دماء، والحروب نتيجة مترتبة عن فساد العلاقة بين أفراد المجتمع أو الجماعات البشرية، لذا نرى أن سفك الدماء نتيجة طبيعية لحالة الفساد التي يصل إليها الناس أفراداً وجماعات.

(2) قطع الأرحام

ومن الآثار التي تنشأ عن الفساد في الأمم والمجتمعات، قطع العلاقات والصلات بين أفرادها، فالأصل في الإنسان أنه اجتماعي بطبعه وفطرته التي فطره الله عليها، وقد أمر الشارع الحكيم بصلة ذوي القربى، فقال: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى...﴾[88]، كما أوصى بصلة الرحم فقال: ﴿... وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[89]، ولكن عندما تنحرف الأمة عن منهج ربها ويفسد حالها، تتحلل من روابط الخير وعُرَى الإيمان، وتتخلى عن صلة الأرحام، وقد قرن الله . تبارك وتعالى . بين الفساد وقطع الأرحام في قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[90]، أي: أن تعودوا إلى سالف عهدكم من الكفر و الفساد في الأرض وقطيعة الرحم[91]، فإن هذا يشعر بالتلازم بين الفساد وقطع الأرحام، فبعضها يفضي إلى بعض، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[92]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[93]، ففي كلا الموضعين يبين السياق القرآني أن من جملة ما أمر الله به أن يوصل الأرحام[94]، وقطعها مقترن بالفساد كما يصف السياق القرآني في هذه الآيات الثلاث[95].

وقد جاء في السنة ما يؤكد ذلك حيث روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ[96] الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ "قَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ" "اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[97]" [98]. ومن هنا كان قطع العلاقات الطيبة بين أبناء المجتمع، وفي مقدمتها قطع الأرحام، لهو دليل على حالة الفساد التي وصل إليها الناس في هذا المجتمع.

(3) انتشار الرذائل

الرذيلة: ضد الفضيلة وهي الرديء من كل شيء[99]، في الماديات والمعنويات، والسلوك والأخلاق.

ونقصد بانتشار الرذيلة، ترك الأمة للفضائل وتلبسها بكل ما هو رديء وباطل يوقعها في سخط الله، سواءٌ أكانت هذه الرذيلة فعلاً أم قولاً أم خلقاً.

والأصل في الأمة الإسلامية أنها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[100]، وقد جعل الله هذه الخيرية مقترنة بصلاحها القائم على الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الركائز الثلاث هي سر خيرية الأمة، فمتى تخلت الأمة عن هذه الركائز فسد حالها وحلت الرذيلة مكان الفضيلة ونضرب ثلاثة أمثلة من صور الرذيلة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض الحديث عن المفسدين وهي كما يلي:-

أ) السرقة: قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾[101]، فإخوة يوسف عليه السلام في هذا المشهد من القصة يقسمون على براءتهم، و نزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم، عن التلوث بقذر الفساد في الأرض، الذي هو رذيلة ونقيصة، تعتبر السرقة من أعظم أنواعها[102] وهي لا تليق بهم.

ب) التطفيف وبخس الميزان: قال تعالى على لسان شعيب وهو يسدي النصيحة لقومه: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[103]، فالتلاعب في الموازين بالتطفيف وبخس الناس حقوقها كل ذلك من أشكال السرقة و الخيانة، وهي رذيلة لا تنفشى وتنتشر إلا في مجتمع فسدت قيمه الأخلاقية[104].

ج) الشذوذ الجنسي وقطع الطرق: من الرذائل التي تشيع في المجتمعات المفسدة فاحشة اللواط وقطع الطريق والتعرض للناس في أسفارهم، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام وهو يجادل قومه: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]، والدليل على أن هذه الرذائل كانت قد تفشت في القوم حتى غدت خلقاً من أخلاقهم، أن لوطاً عليه السلام قال لهم: ﴿...وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾ فهم يفعلون الفاحشة في ناديهم[105] ومجالسهم[106]، فهل بعد ذلك من رذيلة.

(4) فقد الأمن

بين الله عز وجل أن الأمة التي تنعم بالأمن هي تلك الأمة التي عاشت الإيمان واقعاً في حياتها، خالياً من الإشراك بالله، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[107].

فإذا ما تفشت المظاهر السالفة ذكرها، فسفكت الدماء وقُطِّعت الأرحام، وانتشرت الرذائل وقُطِعَتْ الطريق واستبيحت الأموال ونُقِضت العهود والمواثيق، ذهب الأمن وحل الخوف والرعب، وأصبح الناس غير آمنين في إقامتهم وأسفارهم، فإن أصبح هذا واقع الأمة، فماذا بقي لها من معاني الحياة الكريمة الآمنة؟ وقد تناول السياق القرآني بعضاً من هذه المعاني التي تدلل على أن للمفسدين دوراً في ضياع الأمن وترويع الناس، وذلك من خلال بعض الممارسات نذكر منها ما يلي:

أ) إشعال الحروب: إن أشد لحظات فقدان الأمن وظهور الخوف في المجتمعات هو زمن الحروب، والمفسدون من وراء هذه الحروب والويلات التي تشتعل بين الأمم والشعوب، قال تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[108]، فأشنع ما عليه حال المفسدين إشعال الحروب وترويع الآمنين.

ب) ترويع الآمنين وقطع الطريق: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[109]، يتناول سياق الآية الحديث عن ذلك المنافق الذي ضربه الله تعالى مثلاً للمفسدين في الأرض[110]، فإذا انقلب من عند المؤمنين وخلا بنفسه، أظهر غدره وكفره واعتدى على الحرمات، وأزهق الأرواح وسلب[111] المال وأحرق الزرع، كل ذلك على سبيل إشاعة الفساد والدمار، لترويع الناس وبث الرعب والهلع في صفوفهم. قال تعالى ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[112]، جاء في التفاسير أن إحدى إفسادات مدين تمثلت بقطع الطريق، وترويع الناس في أسفارهم إذ كانوا يأخذون من أموال الناس العشر عنوة ويتوعدونهم بالقتل، كما كانوا يتوعدون ويخوفون من جاء من الناس قاصداً الإيمان مع شعيب[113].

فيتبين مما سبق أن للمفسدين دوراً كبيراً في سلب البلاد نعمة الأمن، وإشاعة الخوف بين الناس في حلهم وترحالهم.

(5) الهلاك والاستئصال

إن بقاء الأمم وتعميرها أمر نسبي مرتبط بصلاح الأمة وفسادها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[114]، جاء في بعض أقوال المفسرين أن المقصود بالأرض: الحياة الدنيا، وأن المقصود بالوراثة هو النصر والتمكين[115]، فالأمة لا تزال يمكن لها في الأرض ما دامت تحافظ على صلاحها.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾[116]، فالآيات تبين أن دمار ممالك بني إسرائيل إنما كان بسبب فسادهم في الأرض، ثم عقب على دمارهم بعد الإفسادتين بقوله: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[117]، أي إن عدتم للفساد عدنا لتدميركم واستذلالكم وسبيكم[118].

وقد جاء في السياق القرآني الكريم العديد من الآيات التي تبين هلاك الأمم بسبب فساد أهلها وكثرة معاصيهم، وهذه طائفة منها:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾[119]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[120].

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَادِ * فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[121].

سُبل مكافحة الفساد

إن التطبيق الكامل للإسلام هو المنهج الأمثل لعلاج كل فساد فردي واجتماعي وعالمي؛ لأنه يجتثّ أسباب الفساد من جذورها، ويحدد المسار القويم للعيش الكريم والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، فيصحح العقيدة والتصور، ويقوّم الأفكار والمفاهيم، وينظّم الميول والسلوك، ويزكّي النفوس والأخلاق والأعمال.

والإسلام بلغ الغاية في محاربة الفساد والانحراف، فحاربه قبل وقوعه، وقضى عليه بعد وقوعه قضاء يذهب أثره أو يقلل من مضاره. وإذا شاع الفساد فللإسلام عدة طرق لعلاجه، منها: طريق التربية والتوجيه، والموعظة التي أحاط الفرد بها منذ نشأته؛ كي تؤثر في قلبه وتملأه بتقوى الله والرغبة في مرضاته، ثم أتبع ذلك بالوعيد لمن ارتكب الفساد للترهيب من سخط الله والتعرض لعذابه يوم القيامة، ثم وضع حواجز احتياطية معنوية وحسية تدفع الفساد.

وسلك الشرع الحنيف في التصدي للفساد مسلكين:

. توجيهي وإرشادي وتحذيري.

. وآخر عقابي تمثل في عقوبات من السلطة ضد المفسدين.

وقد تمثل مسلك التوجيه والإرشاد والتحذير في الآتي :

1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهو فريضة ماضية إلى يوم القيامة أوجبها الله تعالى على الناس وجوباً كفائياً، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[122]. والأمر بالمعروف نصيحة، والنصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "[123].

يقول صلى الله عليه وسلم: " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "[124]. والتغيير باليد إنما يكون لصاحب السلطة وإلا كان فتنة وفساد كبير .

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[125]، قال السعدي: "وفي هذا حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى"[126]. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنجع السبل للحد من الفساد وأسبابه.

2) عدم اتباع سبيل المفسدين : إن القوى الاجتماعية الضاغطة كثيرة، وهي كثيراً ما تستدرج المصلح ليتحول بعد فترة وجيزة عن أداء دوره، وهنا نرى القرآن يسوق لنا وصية موسى لهارون عليهما السلام لما استخلفه في قومه: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[127]، ونهى الله عن الركون لأهل الظلم قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[128].

3) نزاهة المصلحين: ينبغي في المصلحين الإخلاص، وإلا فإن كلامهم يفقد أثره، بل يكون تأثيره في الناس عكسياً لأن منطق الناس يصبح أنه لو كان ما يقال صحيحاً لعمل قائله به ، ولهذا نهى القرآن عن القول من غير عمل بل

اعتبره مقتاً كبيراً قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[129]، فالتناقض بين دعوة المصلح وبين مسلكه مضرة بالدعوة، عقبة في طريق الاصلاح. والتزام الداعية بما يدعو إليه تجعله قدوة للناس بفعله، ولعل دلالة الفعل في بعض الأحيان تكون أقوى من دلالة القول.

4) الدعوة إلى الإصلاح بالحكمة: قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[130]، وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ "[131].

والمصلح ينبغي عليه أن يسلك سبيل الحكمة والرفق، فيتدرج في الإصلاح ويأخذ مجتمعه بقدر من المداراة عبر التواضع والاحترام والتحمل والحلم وسائر مكارم الأخلاق ... يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[132]، وقد أوصى الله موسى وهارون لما أمرهما بالذهاب إلى فرعون، وهو إمام الكفر في زمانه، قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[133]، ويضرب الرسول مثلاً أعلى للدعاة والمصلحين في معالجته للفساد، وذلك بالأخذ بالحكمة ومراعاة حالة الفرد . فقد روى أنس صلى الله عليه وسلم قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ"[134].

5) نبذ الخلاف بين المسلمين وتحقيق الأخوة الإيمانية: إن من سُبل مكافحة الفساد: التآزر والتعاون والتناصر والتضامن بين المسلمين وتحقيق الأخوة الإسلامية، قال تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[135] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[136]، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[137]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة. بل وفى غيرها: هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك؛ ما الله به عليم "[138].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبِرُكُمْ بِأفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامَ وَالصلاة والصدقة؟"، قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: "إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ"[139] ، قال الترمذي: "وقوله: (الحالقة)؛ يقول: إنها تحلق الدين ".

قال الطيبي: "فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه"[140].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[141]، فذكر تعالى أن ترك موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين يؤدي إلى فتنة في الأرض وفساد كبير، فيحصل به من الشر ما لا

ينحصر من اختلاط الحق بالباطل والمؤمن بالكافر وإهمال كثير من العبادات كالجهاد والهجرة والحب في الله والبغض في الله، وغير ذلك من مقاصد الدين التي لا تتحقق إلا إذا توالى المؤمنون وصاروا صفاً واحداً.

وقد تمثل مسلك العقاب في الآتي :

1) التصدي للفساد من قبل السلطة: من سماحة الشريعة الإسلامية أنها كفلت للناس حفظ الكليات الخمس التي لا يأمن الإنسان في حياته، ولا يسعد في عيشه إلا بالطمأنينة على سلامتها، هذه الكليات هي: النفس، والمال، والعرض، والعقل، والدين.

وجعلت كل تهديد وتعَدٍّ على هذه القيم، ضرباً من ضروب الفساد والإفساد ، وشرعت لذلك معالجات عقابية رادعة تردع الجاني، وتزجر غيره عن التعدي عليها، معروفة بالعقوبات الحدية .

فللمعتدي على النفس البشرية شرع الله القصاص قال تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[142]، وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[143].

وللتصدي على المال بالسرقة شرع الله قطع اليد اليمنى من مفصل الكف قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[144].

أمَّا التصدي على المال بقطع الطريق أو السطو على البنوك ودور المال في شكل عصابات؛ فقد جاء مقدماً في هذا وذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[145].

وقال السعدي: "دلت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين:

– إما أن يقتل نفساً بغير حق متعمداً في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفاً مكافئاً ليس بوالد للمقتول.

– وإما أن يكون مفسداً في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين والدعاة إلى البدع الذين لا ينكفّ شرهم إلا بالقتل، وكذلك قطاع الطريق ونحوهم ممن يصول على الناس لقتلهم أو أخذ أموالهم".

ثم قال: "إن تطهير الأرض من المفسدين وتأمين السبل والطرق عن القتل وأخذ الأموال وإخافة الناس؛ من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وإنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض"[146].

والتعدي على الأعراض بالزنا جعل الله عقوبته جلد البكر ورجم المحصن والمحصن هو الذي جامع في نكاح صحيح قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[147].

وقال النبي صلى الله عليه و سلم: " خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَرَمْيٌ بِالْحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ"[148].

أما التعدي بالفساد على العقل وذلك بشرب المسكر، فقد جلد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبوبكر أربعين، وزاد عمر إلى ثمانين وكله سُنَّة[149].

والتعدي على الدين يتمثل في الردة بعد الإيمان، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم: (من بدَّل دينه فاقتلوه)[150].

وهذا الجانب العقابي في التصدي للفساد منوط بولي الأمر صاحب السلطة لا يباشره غيره، فتكون فتنة في الأرض وفساد كبير .

2) مشروعية الجهاد: الجهاد في سبيل الله يعدّ أداة ضرورية من أدوات مكافحة الفساد، فالجهاد عنوان الحرب على الفساد وهو خير نموذج يحتذ للقضاء على الفساد، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[151]، وفساد الأرض إما بإفساد الكفار بالقتل والتخريب، وإما بإهلاك أهلها بشؤم الكفر وظهور المعاصي.

قال البغوي: "قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر"[152].

وقال ابن عطية: "أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لولا دفعه بالمؤمنين في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الأرض؛ لأن الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع أقطارها، ولكنه تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق وداع إلى الله ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، له الحمد كثيراً"[153].

الهوامش

1 ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، اعتناء وترتيب: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية 1418هـ، ج10 ص260-261، والفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 1426هـ، ص 306، مع شرحه الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطر، الكويت: مطبعة حكومة، الطبعة الثانية 1413هـ، ج8 ص496-498، والكفوي، أيوب بن موسى: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، اعتناء: د. عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1419هـ، ص 692، و"المعجم الوسيط" الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر: دار المعارف، الطبعة الثانية 1393هـ، ص 688، مادة (ف س د).

2 الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المفضل: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق: دار العلم 1412هـ، ص 636 .

3 ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية 1984م، ج1 ص284

4 ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: الصارم المسلول على شاتم الرسول، دراسة وتحقيق: محمد بن عبدالله الحلواني ومحمدكبير أحمد شودري، الدمام: دار رمادي للنشر 1417هـ، ج 3 ص734

5 ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 636 .

6 ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم: الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج3، ص 733

7 الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار ابن الجوزي 2008م، ج1ص97

8 الأندلسي، أبوحيان محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع . 2001م مج1 ص191

9 البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج1 ص28

10 الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1 ص179

11 الأنبياء: 22

12 قال الراغب: هوالمشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر. المفردات، ص 238

13 العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية، تحقيق جمال مدغمش، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2002م، ص373

14 هود: 116

15 الأعراف: 165

16 الأعراف: 127

17 النمل: 34

18 البقرة:: 27

19 انظر: القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب العربي للطباعة والنشر، 1967م، ج1 ص247، البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج1، ص267

20 يونس: 40

21 انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420 هـ/ 2000م، ج15 ص 94، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8 ص345، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: السيد محمد السيد، القاهرة، دار الحديث، ج4 ص2700.

22 البقرة: 11- 12

23 انظر: ابن عجيبة، أبوالعباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، 1419هـ، ج1 ص79

24 الأعراف: 56

25 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج7 ص226، أبوحيان: تفسير البحر المحيط ، ج4 ص313

26 الرعد: 25

27 انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج16 ص 428، البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج3 ص3288

28 الأنبياء: 22

29 انظر: ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1422هـ، ج4 ص95، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11 ص279.

30 النمل: 34

31 انظر: فخر الدين الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة 1420هـ، ج24 ص 168، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6 ص1900

32 هود: 116

33 انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج15 ص527، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9 ص113.

34 المائدة: 33

35 انظر: ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج2 ص215، ابن عجيبة: البحر المديد، ج2 ص241

36 المائدة: 64

37 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج6 ص241، البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج2 ص 347.

38 محمد: 22

39 انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج28 ص55، البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج5 ص194

40 يونس: 81

41 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج8 ص 368، البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج 3 ص211

42 البقرة: 220

43 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج3 ص66، البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج1 ص 5066

44 العنكبوت: 30

45 انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج6 ص 276، الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار الفكر 1983م، ج5 ص371

46 الفجر: 11-12

47 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج20 ص 49، ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج30 ص 321

48 الأنفال: 73

49 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج8 ص58، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج10 ص888

50 يوسف: 73

51 انظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج3 ص301

52 ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج13 ص 29

53 الروم: 41

54 انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج4 ص394، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج14 ص41.

55 المؤمنون: 71

56 انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ص57

57 الأعراف: 56

58 انظر: أبوحيان: البحر المحيط، ج 4 ص 313

59 الكهف: 94

60 انظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج3، ص523

61 النمل: 48

62 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج13 ص215

63 أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، كتاب الجهاد، باب في من يغزو ويلتمس الدنيا، برقم 2515، والنسائي، أحمد بن شعيب: السنن، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م، كتاب الجهاد، باب فضل الصدقة في سبيل الله عزوجل، برقم 3188، وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ/ 1990م، برقم 2435 صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

64 انظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله: شرح المشكاة للطيبي: تحقيق:د.عبدالحميد هنداوي، مكة المكرمة: مكتبة نزاز مصطفى الباز، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، ج 8 ص 2657، المناوي، زين الدين محمد: فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى 1356هـ، ج4 ص411. قوله "ياسر الشريك" أي: ساهل

الرفيق، واستعمل اليسر معه نفعًا بالمعونة وكفاية للمؤنة. وقوله: "لم يرجع بالكفاف" أي: لم يعد من الغزو رأسًا برأس، بحيث لا يكون له أجر ولا عليه وزر، بل وزره أكثر؛ لأنه لم يغز لله، وأفسد في الأرض.

65 البخاري، محمد بن إسماعيل: الصحيح، كتاب الزكوة، باب من أمر خادمه بالصدقة ولم يناول بنفسه، برقم 1425، ومسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين، والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها، برقم 1024

66 انظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله: شرح المشكاة للطيبي ، ج5 ص 1568، النووي، أبوزكريا محي الدين يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1392هـ، ج7 ص 113

67 مسلم بن الحجاج: الصحيح، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، برقم 1625

68 أبو الفضل، عياض بن موسى: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى 1419هـ/1998م، ج5 ص358

69 الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1395هـ/ 1975م، كتاب النكاح، باب ماجاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، برقم 1085 وقال: حديث حسن غريب. والحديث حسنه الالباني.

70 انظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله: شرح المشكاة للطيبي، ج7 ص 2263، المباركفوري، أبوالعلاء محمد عبدالرحمن: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 4 ص 173

71 البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم 52؛ ومسلم بن الحجاج: الصحيح، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم 1599.

72 انظر: الصغاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني: التنوير شرح الجامع الصغير، الرياض: مكتبة دار السلام، الطبعة الأولى 1432هـ/ 2011م، ج1 ص 520

73 انظر: الصغاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني: التنوير شرح الجامع الصغير ، ج5 ص 444

74 أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، برقم 4919، والترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، برقم 2509 وقال: حديث صحيح.

75 انظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله: شرح المشكاة للطيبي، ج10 ص 3213 – 3214

76 أحمدبن حنبل: المسند، من حديث أسماء بنت يزيد، برقم 25599 و 27640، وذكره الهيثمي، أبوالحسن نور الدين علي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ/ 1994م، ج8 ص96 برقم 13138 وقال: رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح.

77 انظر: المناوي، زين الدين محمد: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج3 ص 465

78 النووي، أبوزكريا محي الدين يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،، ج16 ص 159

79 ذكر ابن منظور في لسان العرب، ج13 ص 515 مادة: عضه: العَضَهُ والعِضَهُ والعَضِيهةُ: هي الإِفْكُ والبُهْتانُ والنَّمِيمةُ وجمعُ العِضَهِ: عِضاهٌ وعِضاتٌ وعِضُون، والعَضْهُ: القالةُ القبيحة.

80 مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، برقم 2606.

81 ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعةالأولى 1409هـ، ج 7 ص 83 برقم 34368

82 أحمد بن حنبل: المسند، برقم 6650؛ وذكره الهيثمي في المجمع 7: 278 برقم 121911 وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف؛ وذكر الهيثمي في المجمع، ج7 ص278 رواية عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء، إذا فسد الناس...»، وقال: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح. فالحديث بمجموع طرقه ورواياته حسن.

83 انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، الطبعة العاشرة 1981م، ج1ص437

84 البقرة: 30

85 انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1ص179

86 البقرة: 205

87 البقرة: 30

88 النساء: 36

89 النساء: 1

90 محمد: 22

91 انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج2ص1003

92 البقرة: 27

93 الرعد:25

94 انظر: أبوزهرة، الشيخ محمد: زهرة التفاسير، القاهرة: دار الفكر العربي، ج1ص183

95 انظر: جمال بواطنة: المفسدون في الأرض، مجلة الإسراء، تصدر عن مديرية الإعلام والبحوث بدار الفتوى بالقدس – العدد (52) – إبريل – 2004م، ص15.

96 الحقو: هو الخصر وموضع شد الإزار وهو الموضع الذي جرت عادة العرب بالاستجارة به لأنه من أحق ما يدافع عنه، كما قالوا نمنعه مما نمنع منه أزرنا فاستعير ذلك مجازا للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة 1379م،ج8 ص580

97 محمد: 22

98 البخاري، محمد بن إسماعيل: الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾، برقم 4830.

99 انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11ص280

100 آل عمران: 110

101 يوسف: 73

102 انظر: الشوكاني: فتح القدير، ج3ص43

103 هود: 85

104 انظر: مجلة الإسراء. عدد 52 . إبريل 2004م، ص17

105 يسمى مكان اجتماع القوم نادياً إذا كان ممتلئاً بأهله. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج15ص313

106 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج13ص303

107 الأنعام: 82

108 المائدة: 64

109 البقرة: 205

110 نزلت في الأخنس بن شريق، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه يريد الإسلام، وحلف أنه ما قدم إلا لذلك، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، وقيل نزلت في نفر من المنافقين. انظر: لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص27

111 انظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد: محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418هـ،، ج4، ص 170

112 الأعراف: 86

113 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج7ص222

114 الأنبياء: 105

115 انظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م9 ج17 ص82، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج5 ص394

116 الإسراء: 4، 5

117 الإسراء: 8

118 انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج5ص49

119 النحل: 45

120 الأعراف: 96

121 الفجر: 10- 13

122 آل عمران: 104

123 مسلم بن الحجاج: الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم 55

124 مسلم بن الحجاج: الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، برقم 49

125 هود: 116

126 السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ/ 2000م، ص 392- 393

127 الأعراف: 142

128 هود: 113

129 الصف: 2-3

130 النحل: 125

131 مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم 2594

132 آل عمران: 159

133 طه: 43–44

134 مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ، برقم 285.

135 الأنفال: 72

136 الحجرات: 10

137 آل عمران: 103

138 ابن تيمية، تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم: مجموع فتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/ 1995م، 360/22.

139 أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، برقم 4919، والترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، برقم 2509 وقال: حديث صحيح.

140 المباركفوري، أبوالعلاء محمد عبدالرحمن: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج7 ص179.

141 الأنفال: 73

142 المائدة: 45

143 البقرة: 79

144 المائدة: 38

145 المائدة: 33

146 السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 229 .

147 النور: 2

148 أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في الرجم، برقم 4415

149 انظر الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمدالحسني: سبل الإسلام، دار الحديث، ج 4 ص 30 وما بعدها .

150 النسائي، أحمد بن شعيب: السنن، باب الحكم في المرتد، برقم 4059

151 البقرة: 251

152 البغوي، عبدالله بن أحمد بن علي الزيد: مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، الرياض: دار السلام، الطبعة الأولى، 1416هـ، ج1 ص98

153 ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج1، ص338- 339